ربيع وربيع !

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة : صفاء من سلام النفس يفيض بشراً فى العين وطلاقة فى الوجه ، ورُواء من أَلَق الشباب يشعُّ نوراً فى السماء وسروراً فى الأرض ، ورخاء من نعيم الطبيعة ينتشر عطوراً فى الجو وزهوراً فى الروض ، وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة فى الحس وبهجة فى القلب ، وهدهدة على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد

* * *

هـذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة : استغراق فى أمان الله ، وانطلاق لمتاع الحياة، واتساق ربيع العمر مع ربيع العام ، وامتحاد الجمال البشرى بالجمال الإلهى الماثل فى وشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة . فأين — بالله ربكما — أجد الفرق بينكما وبين ملكين يعتنقان فى نشوة الخلد ، ويأتلقان فى وضاءة الفردوس ؟ أفى النظرة الساهمة ، أم فى البسمة الحالمة ، أم فى الفتنة النائمة ، أم فى الخلو الحقيق بالطهر ، أم فى الحنو الخليق بالأمومة ، أم فى الذهول الغريق فى اللذة ، أم فى الصبى الذى يضوع بريح الجنة ، أم فى الحلم الذى يصل باللانهاية ؟

* * *

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة ؛ وما كان أحرى الناس أن يكون لكل امرئ ربيع مثله ! ولكن النفوس إذا ماتت فيها الشر أحست فلا تربيع ، واشطرت فلا تطمئن !

هذا ربيعنا يا زهرتى الصغيرتين يلفح بالسموم ويطفح بالهموم ويصطرم بالعداوة ! كأنما استخلف الله الشياطين على حكم الأرض ؛ فى كل دولة إبليس ، وفى كل أمة جهنم . ومن طباع الأبالسة كراهة الفراديس . فهم لا يريدون سلاماً فى وطن ، ولا يحبون ربيعاً فى زمن ، ولا يدعون آدم فى جنة . هذا مفيستو فوليس النازى وشمهورش الفاشى أصابهما الله بنمو القرون فجأة ، فتأبَّها وتألها ونازعاه ملكوت الأرض ، فأحدهما يريد أن يعبده الغرب ، والآخر يريد أن يعبده الشرق ؛ وهما لذلك يحشدان كل ما فى الجحيم من سُموم ونيران وحُمم ليدمرا فى أيام معدودات سكان الدنيا وحضارة الدهر ! والعالم كله قد وقف أمام الشيطانين موقف الدفاع ، لا تنتج معامله غير الخراب ، ولا تخرج مصانعه غير الموت ، ولا تحرك دوله غير الجيوش ، ولا يفكر ناسه إلا فى الحصون والخنادق والأسلحة والمخابئ والأقنعة !

فكيف يكون لربيعنا فى هذا الجدب ازدهار ، ولنفوسنا على هذا الفزع استقرار ، ولحضارتنا مع هذا البلاء استمرار ، ولحياتنا على هذه الحال المحزنة جمال ولذة ؟ !

لعن الله يا ابنتى حواء شياطين الإنس وشياطين الجن ، فإنهم لو لم يخلقوا لكانت الأرض كلها جنة ، والناس كلهم ملائكة ! . . .

ابو عبد الملك